غزوات المصطفى ﷺ

(١٠)

غَزْوَةُ ذَاتِ الرِّقَاعِ..

(نَجْدٍ)

الدكتور

محمد عمر الحاجي

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟!

سَرَتْ أَنْبَاءُ انْتِصَارِ المُسْلِمِينَ عَلَىٰ مُشْرِكي الأَحْزَابِ ، وَعَلَىٰ يَهُودِ المَدِيْنَةِ المنوَّرَةِ وَمَنْ حَوْلَهَا ، سَرَتْ بَيْنَ الأَعْرَابِ وَالقَبَائِلِ سَرَيَانَ النَّارِ في الهَشِيمِ ، حَتَّىٰ كادَ بَعْضُهُمْ أَنْ لا يُصَدِّقَ مَا يَسْمَعُ!

وَتَسَاءَلَ بَعْضُهُمْ : كيفَ لِمُحَمَّدٍ وَمَنْ مَعَهُ - وَأَكْثَرُهُمْ مِنَ الفُقَرَاءِ وَالضِّعَافِ وَالعَبِيدِ - أَنْ يَنْتَصِرُوا عَلَىٰ أَهْلِ مَكَّةَ... وَعَلَىٰ اليَهُودِ ، عِلْماً أَنَّ الأَسْوَاقَ وَالأَمْوالَ وَالزَّعَامَاتِ كُلَّها كَانَتْ مُلكاً لَهُمْ ؟

لِذَلِكَ قَرَّرَ بَعْضُ الأَبْطالِ أَنْ يَقُومُوا بِعَمَلِيَّةِ اغْتِيَالِ الرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم حَتَّىٰ يتَخَلَّصُوا مِنْه وَمِنْ دَعْوَتِهِ!

وَذَاتَ لَيْلَةٍ قَمَرِيَّةٍ قَالَ أَحَدُ هَؤلاءِ ، واسْمُهُ (غورثُ) لِمَنْ حَوْلهُ مِنْ (غَطَفَانَ وَمُحَارِبَ) : أَلاَ أَقْتُلُ لَكُمْ مُحَمَّداً ؟

قَالُوا : بَلَىٰ ، وَكَيْفَ تَقْتُلُهُ ؟

قالَ : أَفْتِكُ بِهِ .

وَرَاحَ (غورثُ) يَتَرَصَّدُ الفُرْصَةَ السَّانِحَةَ لِيَنْفَرِدَ بِالرَّسُولِ فَيَغْتَالَهُ .

وَذَاتَ يَوْمٍ رَأىٰ رَسُولَ اللهِ وَهُوَ مُسْتَلْقٍ تَحْتَ شَجَرَةٍ ، وَقَدْ عَلَّقَ سَيْفَهُ عَلَىٰ أَحَدِ أَغْصَانِهَا ، وَالمُسْلمونَ مَشْغُولُونَ مِنْ حَوْلِهِ .

فَتَسَلَّلَ (غورثُ) وَهُوَ يَشْهرُ سَيْفَهُ ، حَتَّىٰ وَصَلَ إِلَىٰ قُرْبِ الشَّجَرَةِ ، فَدَقَّقَ النَّظَرَ ، فَإِذَا بِرَسُولِ اللهِ نَائِمٌ .

فَحَرَّكَهُ ، فَاسْتَيْقَظَ ، فَهَزَّ (غورثُ) سَيْفَهُ فَوْقَ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، أَمَا تَخَافُنِي ؟

فَقَالَ الرَّسُولُ صلى الله عليه وسلم : « لاَ ، وَمَا أَخَافُ مِنْكَ ؟ »

قَالَ : أَمَا تَخَافُنِي وَفِي يَدِيَ السَّيْفُ ؟

فَقَالَ الرَّسُولُ : « لاَ ، يَمْنَعُني اللهُ مِنْكَ ؟ » .

فَارْتَعَدَ (غورثُ) ، وَارْتَجَفَتْ يَدَاهُ ، وَسَقَطَ السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ .

وَعِنْدَئِذٍ أَخَذَ الرَّسُولُ السَّيْفَ وَقَالَ لَهُ : « مَنْ يَمْنَعُكَ الآنَ ؟ »

فَقَالَ : كُنْ خَيْرَ آخِذٍ يَا مُحَمّدُ .

فَقَالَ الرَّسُولُ : « تَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ ؟ » .

قَالَ : أُعَاهِدُكَ عَلَىٰ أَنْ لاَ أُقَاتِلَكَ ، وَلا أَقُومَ مَعَ قَوْمٍ يُقَاتِلُونَكَ ، فَخَلَّىٰ الرَّسُولُ سَبِيلَهُ ، فَجَاءَ إِلَىٰ قَوْمِهِ مُسْرِعاً ، وَلَمَّا وَصَل إِلَيْهِمْ قالَ : جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ خَيْرِ النَّاسِ .

❊ ❊ ❊

هَيَّا لِغَزْوِ غَطَفَانَ

وَقَدِمَ رَجُلٌ إِلَىٰ أَحَدِ أَسْوَاقِ المَدِينَةِ المنوَّرَةِ ، يَحْمِلُ مَتَاعاً ، يُرِيدُ أَنْ يبِيعَ وَيَشْتَرِي .

وَبَعْدَ أَنْ أَتَمَّ صَفْقَتَهُ التِّجَارِيَّةَ قَالَ لأَحَدِ التُّجَّارِ المُسْلمينَ : دُلَّنِي عَلَىٰ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ ؛ فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُخْبِرَهُ بِمَا رَأَيْتُ فِي الطَّرِيقِ .

وَبِالفِعْلِ ، اصْطَحَبَ التَّاجِرُ المُسْلِمُ التَّاجِرَ المُشْرِكَ إِلىٰ الحارِسِ ، ولَمَّا وَصَلاَ إِلىٰ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ المُشْرِكُ : جِئْتُ مِنْ نَجْدٍ ، وَقَدْ رَأَيْتُ القَوْمَ (غَطَفَانَ وَثَعْلَبَةَ وَمُحَارِبَ) يَجْمَعُونَ الجُمُوعَ ، وَيُعِدُّونَ العُدَّةَ ،

وَأَحْسَبُ أَنَّهُمْ يُرِيدُونَ مُبَاغَتَتَكُمْ ، فَانْظُرُوا مَاذَا أَنْتُمْ فَاعِلِينَ ؟

وَرَاحَ الرَّسُولُ يَسْتَفْسِرُ مِنْهُ عَنْ بَعْضِ مَا رَأَىٰ ، وَلَمَّا أَيْقَنَ بِصِدْقِهِ أَمَرَ مُنَادِيَهُ أَنْ يُنَادِيَ في المَدِينَةِ : حَيَّ عَلَىٰ الجِهادِ .

❊ ❊ ❊

لِمَاذا سُمِّيَتْ : ذَاتَ الرِّقَاعِ ؟!

وَكَانَ كُلُّ مَنْ سَمِعَ النِّدَاءَ ، يَأْتي مُسْرِعاً إِلَىٰ المَسْجِدِ النَّبَوِيِّ .

لٰكِنْ كَيْفَ المَسِيرُ إِلَىٰ نَجْدٍ ، وَالمَسَافَةُ بَعِيدَةٌ ، وَالحَرُّ شَدِيْدٌ ، وَلَيْسَ مَعَ المُسْلمينَ مِنَ الخُيُولِ مَا يَرْكَبُونَ عَلَيْهِ إلاَّ القَليلُ ؟

إِنَّهُم لاَ يَهْتَمُّونَ بِأَيِّ شَيْءٍ ، مَا دَامَ الأَمْرُ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ ، فَهُمْ يُرَدِّدُونَ أَمَامَ ذٰلِكَ : سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا .

وَتَحَرَّكَ الجَيْشُ الإِسْلاَمِيُّ بِقِيَادَةِ المَعْصُومِ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ، وَعَانَىٰ المُسْلِمونَ في

الطَّرِيقِ أَلْوَاناً مِنَ العَذَابِ ، حَتَّىٰ أَنَّ أَبَا مُوسَىٰ الأَشْعَرِيَّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم في غَزْوَةِ نَجْدٍ ، فَكُنْتُ مَعَ سِتَّةِ نَفَرٍ ، وَكَانَ مَعَنَا بَعِيرٌ واحِدٌ ، فَكُنَّا نَعْتَقِبُهُ ـ أَيْ : يَرْكَبُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا قَلِيلاً ، ثُمَّ يَنْزِلُ فَيَرْكَبُ الآخَرُ ، وهكذا.. ـ وَمِنْ شِدَّةِ الحَرِّ وَطُولِ الطَّرِيقِ ، رَقَّتْ جُلُودُ أَقْدَامِنَا ، حَتَّىٰ سَقَطَتْ أَظْفَارُنَا ، فَلَمْ نَجِدْ مَا نُداوِي بِهَا أَرْجُلَنَا ، فَصِرْنَا نُمَزِّقُ قِطَعاً مِنْ ثِيَابِنَا وَنَلُفُّ بِهَا أَرْجُلَنَا ، فَسُمِّيَتْ غَزْوَةُ نَجْدٍ بِذَاتِ الرِّقَاعِ ، لِمَا كُنَّا نَعْصِبُ مِنَ الخِرَقِ عَلَىٰ أَرْجُلِنَا!!

* * *

وَهَرَبَ المُتَآمِرُونَ!!

وَلَمَا بَلَغَ الجَيْشُ الإِسْلامِيُّ مَضيقَ وَادي الشَّقْرَةِ ، أَمَرَ رَسُولُ اللهِ النَّاسَ أَنْ يُقيموا فِيهِ وَيَرْتَاحُوا .

وَلَمَّا وَصَلَ الخَبَرُ إِلَىٰ المُجْتَمِعينَ فِي نَجْدٍ ، تَرَكُوا اليَنَابِيعَ ، وَهَرَبُوا إِلىٰ رُؤوسِ الجِبَالِ ، وَرَاحُوا يُراقِبُونَ مَاذَا سَيَحْصَلُ مِنْ بَعِيدٍ!!

وَبَثَّ الرَّسُولُ السَّرَايا وَالعُيُونَ ، حَتَّىٰ إِذَا مَا كَانَ اللَّيْلُ رَجَعُوا إِلىٰ الرَّسُولِ ، وَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُمْ لَمْ يَرَوْا أَحَداً .

فَسَارَ المُسْلِمونَ أَيَّاماً ، حَتَّىٰ إِذَا وَصَلُوا إِلىٰ

المَكانِ الَّذِي كَانَ فِيهِ الأَعْرَابُ ، فَلَمْ يَجِدوا أَحَداً ، فَعَلِمُوا أَنَّ الأَعْرَابَ قَدْ هَرَبُوا إِلَىٰ رُؤُوسِ الجِبَالِ!

إِنَّ المَسْأَلَةَ لَيْسَتْ بِالسِّلاحِ وَالعَتَادِ ، وَإِنَّما المَسْأَلَةُ أَنْ يَكونَ اللهُ مَعَكَ ، وَتَكُونَ مَعَهُ ، عِنْدَئِذٍ سَيَفْتَحُ لَكَ بَابَ الفَرَجِ ، وَسَيُلْقِي الرُّعْبَ في قُلُوبِ العَدُوِّ وَسَتَكُونُ النَّتِيجَةُ هِيَ الفَلاَحَ وَالنَّصْرَ .

مِصْدَاقُ ذٰلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ ۖ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال : ١٧-١٩] .

* * *

السَّبَبُ الرَّئيسِيُّ لِلْغَزْوَةِ

دَخَلَ (عامَرُ بْنُ مَالِكٍ) ـ وَكَانَ يُلقَّبُ بِـ(مُلاعِبِ الأَسِنَّةِ) ـ المَسْجِدَ النَّبَوِيَّ ، وَطَلَبَ مِنَ الرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم أَنْ يَبْعَثَ إِلَىٰ أَهْلِ نَجْدٍ مَنْ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ الإِسْلامِ .

فَأَجَابَ الرَّسُولُ : « إِنِّي أَخْشَىٰ عَلَيْهِمْ أَهْلَ نَجْدٍ » فَقَدِ اشْتُهِرُوا بِالقَسْوَةِ وَالجَفَاءِ ، وَقَدْ سَبَقَ لَهُمْ أَنْ غَدَرُوا بِبَعْضِ المُسْلمينَ!

وَتَرَدَّدَ الرَّسُولُ بَيْنَ نَشْرِ الدَّعْوَةِ الإِسْلامِيَّةِ وَإِبْلاغِها لِلنَّاسِ ، وَبَيْنَ وجوبِ الحَذَرِ مِنْ تآمُرِ وَخِيانَاتِ جَمَاعَةِ نَجْدٍ .

ثُمَّ قَرَّرَ أَنْ يُرْسِلَ أَرْبَعِينَ رَجُلاً مِنَ المُسْلمينَ ، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ (المُنْذِرَ بْنَ عَمْرٍو) رضيَ اللهُ عَنْهُمْ ، وَلَمَّا وَصَلُوا إلىٰ (بِئْرِ مَعُونَةَ) جَلَسُوا لِيَسْتَرِيحُوا ، وَأَرْسَلُوا الرِّسَالَةَ مَعَ أَحَدِهِمْ إلىٰ (عَامِرِ بْنِ الطُّفَيْلِ) ، فَمَا كَانَ مِنْ (عَامِرٍ) إلاَّ أَنْ مَزَّقَ الرِّسَالَةَ ، وَانْقَضَّ مَعَ قَوْمِهِ عَلَىٰ الأَرْبَعينَ ، فَقَتَلُوهُمْ ، وَشَاءَ اللهُ أَنْ يَظَلَّ وَاحِداً مِنْهُمْ عَلَىٰ قَيْدِ الحَيَاةِ ، فَتَحَامَلَ عَلَىٰ جِرَاحَاتِهِ وَأَوْصَلَ خَبَرَ مَا حَدَثَ لِلرَّسُولِ ، فَكَانَتْ غَزْوَةُ نَجْدٍ (ذاتُ الرِّقَاعِ) .

وآخرُ دعْوانا أَنِ الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ

* * *